شبسم الله الرحمن الرحيم

[تفريغ المجلس ٣٨]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا- أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

الحديث الرابع والعشرون

عن أبي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ فيما يرويه عن ربِّه ﷻ أنَّه قالَ: { يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ. يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ. يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ. يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ}. رواه مسلمٌ[٢٥٧٧].

الحديث رواه مسلم وهو من أفراده، رواه من طريق أبي إدريس الخولاني، وهو عائذ الله رَحِمَهُ اللهُ، من أئمة التابعين وكبارهم يرويه عن أبي ذر الغفاري، وذكر مسلم أيضا طريقا آخر وأسنده قال (بنحوه) ولم يذكر لفظه.

[من مناقب أبي ذر الغفاري رضي الله عنه]

وصحابي الحديث أبو ذر رضي الله عنه وقد سبق لنا معه حديث واحد، الذي يرويه هو معاذ بن جبل رضي الله تعالى عن الجميع قوله ﷺ (اتق الله حيثما كنت) الحديث رقم ١٨، وقلنا أبو ذر مشهور بكنيته رضي الله عنه واسمه جندب بن جنادة من خيار الصحابة ومن فضلاء الصحابة، وممن تقدم إسلامه، وذكرنا قصة إسلامه وأنه أرسل أخاه ليطلعه على خبر الرجل الذي بمكة، ويزعم أنه نبي، قال: ثمة رجل بمكة يقول إنه نبي فاذهب وأتني بخبره، فذهب أخو أبي ذر ثم رجع وقال هو رجل يأمر الناس بالخير، وينهاهم عن المنكر ..الخ، قال: لم توفني الخبر حقه، فذهب بنفسه، ونزل مكة وهو فيها غريب، فمر عليه علي رضي الله عنه وعلم بأنه غريب فاقل: كأن الرجل غريب، قال: لي حاجة، ثم تركه علي رضي الله عنه فمر عنه بمسافة فوجده قال: لعل الرجل لم يدرك حاجته، فأخذه علي رضي الله عنه وأكرمه وضيفه ثم كذلك في اليوم البعد والذي بعده.

وفي الثالث قال: ما حاجة الغريب؟ قال: وتكتم علي؟ قال: نعم، ثم ذكر له الخبر الذي أتى به إلى مكة، وهو أنه يطلب خبر النبي الذي بمكة، فقال علي رضي الله عنه: أنا أخبرك عنه، وعلي رضي الله عنه كان قد أسلم، وممن تقدم إسلامه، فقال: أنطلق غدا فتنطلق من خلفي، فإذا رأيت شيئا أخشاه عليه جعلت ألقي ماء فتنتبه، ثم إذا مضيت تمضي معي، ففعل حتى دخل على النبي ﷺ فسلم عليه، فكان أول من سلم وحي النبي ﷺ بتحية الإسلام أبو ذر الغفاري رضي الله عنه، وعلمه النبي ﷺ شرائع الإسلام، وجهر بالدعوة رضي الله عنه بمكة من يومه، فضُرب وأوذي في الله جَلَّ جَلَالُهُ ثم عاد حتى دخل بعض من أنجاه، وخوّف كفار قريش بأن قوافلهم وتجاراتهم تمر على بني غفار، فكيف أنتم عاملون فيها؟ فتركوه، ثم أعاد الكرة الثانية.

ثم قال له النبي ﷺ: ارجع إلى قبيلتك وادعهم إلى الإسلام، ولا تأت حتى أظهر -أو كما قال ﷺ- وبالفعل رجع النبي ﷺ فأسلموا جميعهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ولهذا قال النبي ﷺ (غفار غفر الله لها)[1]، وكان من

---

[1] أخرجه البخاري (٣٥١٣)، ومسلم (٢٥١٧).

الصحابة الفضلاء العظماء، وكان صاحب زهد ﷺ، وصدق، وفي الأثر (ما أقلّت الغبراء، أصدق لهجة من أبي ذر)[1] هذا يدل على صدقه ﷺ، يعني ما حملت الأرض، ولا غطت السماء رجلا أصدق من أبي ذر، هذا في بيان صده، لاشك أن أبا بكر أصدق منه، وقد لقّب بالصديق ﷺ، فهذا من ثناء النبي ﷺ عليه، ووقع منه أنه عيّر رجلا بأمه، فقال له النبي ﷺ (عيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية)[2] فصار رضي الله عنه بعد ذلك لا يفعل، ويسوي بين الناس جميعا، ويكرم حتى غلامه وخادمه، فدخل ومر عليه أناس فإذا به لابس حلة، وخادمه لابس نفس الحلّة، فقالوا: لو أنك اكتسيت بها أنت، فذكر لهم حديث النبي ﷺ، ومن ذلك قوله ﷺ (إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تطعمون، واكسوهم مما تكسون)[3] وقال أيضا (ولا تكلفوهم إلا بما يطيقون وإذا كلفتموهم فأعينوهم)[4]، وأيضا قوله ﷺ (إذا صَنَعَ لأَحَدِكُمْ خادِمُهُ طَعامَهُ، ثُمَّ جاءَهُ به، وقدْ ولِيَ حَرَّهُ ودُخانَهُ، فَلْيُقْعِدْهُ معهُ، فَلْيَأْكُلْ)[5] يعني يأكل معه أو يعطيه شيئا منه، فلا ينبغي أن يأكل الطعام ولا يأكل من ذلك شيئا.

ولهذا كان أبو ذر غاية في الزهد والورع، وكان يرى أن الإنسان يقتصر في ماله على ما يكفيه، ويتصدق بغير ذلك، ويتصدق بما بقي، وقد قال فيه النبي ﷺ (تمشي وحيدا، وتموت وحيدا، وتبعث وحيدا)[6] وكان الأمر كذلك، فقد خرج في زمن عثمان ﷺ إلى الربذة، ومات فيها، وكان وحيدا، ويبعث وحيدا ﷺ، وكانت وفاته سنة ٣٢هـ، وأحاديثه عند أصحاب الكتب.

[الحديث القدسي]

يقول (**عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ**) هذا هو الحديث القدُسي أو القدْسي، وتسميته بالحديث القدسي نسبة إلى القدّوس ﷻ، منسوب إلى الله ﷻ والقدوس من معانيه الطهارة والزكاة والترفع والتعالي، والبراءة من الوصمة والنقص ﴿..ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ..﴿٢٣﴾﴾الحشر، وتقدس أي تنزّه من النقائص، وتعالى وتزكى وتطهر تبارك وتعالى، فالقدسي

---

[1] أخرجه الترمذي (٣٨٠١)، وابن ماجه (١٥٦)، وأحمد (٦٥١٩)، والبزار (٤١٢٨).
[2] أخرجه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١).
[3] أخرجه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١).
[4] أخرجه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١).
[5] أخرجه مسلم (١٦٦٣).
[6] " السيرة النبوية " لابن هشام (٢/٥٢٤)– ومن طريقه الحاكم في " المستدرك " (٣/٥١)، ومن طريقه البيهقي في " دلائل النبوة " (٥/٢٢١-٢٢٢).

نسبة إلى القدوس، أو إلى اسمه تبارك وتعالى القدّوس، ويقال القدُسي والقدْسي، لما فيه من التقديس، الطهارة، والنماء، والزكاة والرفعة.

ويأتي بصيغة **(عن النبي ﷺ عن الله تعالى)** أو **(أو عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى)** أو **(عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ)** هذه صيغة.

واختلف أهل العلم في التفريق بين أهل العلم وغيره من القرآن والحديث النبوي، فبالاتفاق القرآن كلام الله ﷻ، لفظا ومعنى، ومنقول بالتواتر، متعبد بتلاوته، وبالاتفاق الحديث القدسي فيه الصحيح والضعيف، وفيه المنقول بالآحاد وهو غير متعبد بتلاوته، وبالاتفاق معناه من عند الله ﷻ.

الحديث النبوي الشريف بالاتفاق معناه من عند الله ﷻ، ولفظه من عند النبي ﷺ، وفيه الآحاد والمتواتر وفيه الضعيف والصحيح والحسن، لكن اختلفوا في الحديث القدسي، هل لفظه من الله ﷻ أو من النبي ﷺ، فبعض العلماء يقول: معناه من الله واللفظ من النبي ﷺ وإنما يقال فيما يرويه عن ربه، أو عن الله، أو قال الله، أي هذا في جملة معناه، ولهذا مما اتفقوا عليه جواز رواية الحديث القدسي بالمعنى، ورواية الحديث النبوي بالمعنى، وكل منهما غير متعبد بتلاوته -يعني في الصلاة- بخلاف القرآن الكريم فلا يجوز أن يروى بالمعنى، وقال بعض العلماء: بل هو كلام الله لفظا ومعنى، لأن النبي ﷺ يقول فيه **(قال الله تعالى)**.

والذين يقولون: المعنى من الله واللفظ من النبي ﷺ قال بعض أهل العلم: يخشى من ذلك التأثر بما هو من عقائد الأشاعرة الذين يقولون: القرآن كلام الله أي النفسي، وأما اللفظ فليس كلام الله، ولهذا الأظهر من العبارة في قول النبي ﷺ **(قال الله تعالى)** أن الحديث لفظا ومعنى من عند الله تعالى، وجعل الله تبارك وتعالى القرآن الذي هو كلامه ﷻ خصه بالتواتر، بأنه متعبد بتلاوته، وجعل الحديث القدسي غير متعبد بتلاوته، وهذا لا تعارض فيه، لأن مما هو نظير ذلك، أن الكتب السابقة وكل الله ﷻ حفظها للأنبياء والرسل، كما قال ﷻ ﴿..بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ..﴿٤٤﴾﴾المائدة.

لكن القرآن الكريم خصه بأن تولى بحفظه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾الحجر، وعند ذلك لا تعارض ولا مانع، فهذا الذي يظهر في الحديث القدسي.

[إضافة التشريف "يا عبادي"]

قال (قال الله تعالى: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا) قوله (يا عبادي) هذه إضافة تشريف، إضافة العبد لله ﷻ تشريفا كقوله ﷻ ﴿..نَاقَةَ ٱللَّهِ..﴿١٣﴾﴾الشمس، فهذا من باب التشريف، ومن ثمة يقول الشاعر:

ومما زادني شرفا وتيها * دخولي في قولك يا عبادي**

وكدت بأخمصي أطأ الثريا * وأن جعلت أحمد لي نبيا**

[الله تعالى يحرّم على نفسه ويوجب ويحق]

فهذه إضافة تشريف (يا عبادي) يقول ﷻ (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي) هو الذي حرمه على نفسه ﷻ لا أحد يحرم عليه، كما أنه ﷻ الذي يوجب على نفسه ولا أحد يوجب عليه، وهو الذي يحق عليه الحق والأمر، ولا أحد يحقه عليه ﴿..حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾يونس، ويقول ﷻ ﴿..وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾الأنبياء، ولا أحد يوجب عليه ﷻ، ولا أحد يحرم عليه.

فالذين قالوا: يجب على الله كذا -وهم المعتزلة- هذا لا يجوز عليهم أن يفعلوه، لا أحد يوجب على الله ﷻ شيئا، ومثل ذلك الذين يقولون: لا يحرم على الله شيء، ولا يجب عليه شيء، فهذا تدخّل في حق الله ﷻ، هو الذي حرم على نفسه، قال (حرمت على نفسي الظلم) وهو الذي أوجب على نفسه ﴿.. كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ ..﴿١٢﴾﴾الأنعام، وهو الذي حق عليه الأمور ﴿..وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾الروم، وقال ﷻ ﴿..وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ..﴿١٠٤﴾﴾الأنبياء.

وقال ﷺ (وحق العباد على الله أن يدخلهم الجنة)[1] أي من وحد الله ولم يشرك به شيئا، ولهذا فالذي عليه أهل السنة والجماعة أن الله ﷻ هو الذي يوجب على نفسه الشيء، ويحرم على نفسه الشيء، ويحق على نفسه الأمر، لا أحد يتدخل في ذلك، فيحق على الله ﷻ أو يوجب عليه، أو يحرم عليه، هذا غير صحيح، ولا يجوز أن يقال به.

[1] أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

[حقيقة الظلم]

فإذن قال (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي) هو الذي حرمه، الظلم معناه العام: وضع الشيء في غير محله، ومنه تسمية الحليب الذي خُلط قبل وقته باللبن حتى يروب يسمى بالحليب الظّليم، وضع في غير محله وموضعه، ومثله أيضا الأرض المظلومة، التي تحفر لاستخراج الماء منها وليس بها ماء، تسمى أرضا مظلومة، لكونه وضع الشيء في غير محله، هذا أصل الظلم وهذا هو معناه اللغوي، أو ما يدل عليه المعنى في اللغة، فحقيقة الظلم وضع الشيء في غير محله وفي غيره موضعه اللائق به.

وقال بعض أهل العلم: الظلم هو الفعل في ملك الغير بغير إذن، التصرف في ملك غيرك دون إذنه، هذا هو الظلم، وفي الحقيقة هذا داخل في وضع الشيء في غير محله، لان من تصرف في ملك غيره دون إذنه فقد وضع الشيء في غير محله، وفي غير موضعه، وهذا في الحقيق ة تفسير الظلم بأنه التصرف في ملك الغير بدون إذنه يدخل في وضع الشيء في غير محله.

وجاء فيما رواه مسلم من طريق أبي الأسود الدؤلي أن عمران بن حصين سأله: أترى ما نعمل أفيما نستقبل أم فيما مضى وجرى به القلم؟ قال (بل فيما جرى به القلم) قال: أولا يكون ذلك ظلما؟ -عمران بن حصين- قال (**قد أفزعني كلامك، إن كان تصرف منه ﷻ في غير ملكه فقد ظلمك**) يعني عمران بن حصين يقول لأبي الأسود: هذا الذي نفعله نحن شيء نفعله نحن فيما نستقبل؟ أو شيء سبق تقديره علينا وقضاؤه؟ قال: شيء سابق في الأزل، قال: فإذن ألا يكون ظلما؟ كونه يقدر على فلان الهداية وعلى فلان الضلال! قال: قد فزعت مما قلتَ، لو كان تصرف في غير ملكه لكان ظلمك، قال له عمران بن حصين (**أحسنت وإنما أوردت عليك ذلك لأعرف عقلك، جاء رجال إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله أرأيت ما نعمل أفيما نستقبل أم فيما مضى وجرى به القلم؟ فقال" بل فيما جر به القلم" قالوا: ففيم العمل؟ قال "اعملوا فكل ميسر لما خلق له"**)[1].

وكما قال ﷻ ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨﴾الشمس، فهذا المعنى صحيح، وهو تصرفك في ملك غيرك دون غيره، فهذا يعد ظلما، فبعض العلماء فسر الظلم بهذا.

[1] أخرجه مسلم (٢٦٤٩).

[تنزه الله تعالى عن الظلم]

وعلى هذا فالتصرف في ملك الغير دون الإذن، يعد ظلما، وبالتالي فيستحيل أن الله ﷻ يظلم، لأنه مالك كل شيء، له ملك السماوات والأرض، تفسير الظلم بهذا المعنى يقال يستحيل الظلم في حق الله ﷻ لكن تفسير الظلم بالمعنى السابق -وضع الشيء في غير محله وموضعه- قال العلماء: إذا أراد الله ذلك فإنه يفعله، وهو يقدر على ذلك، ولكن لا يفعل إحسانا منه، وتنزها، ولأنه متصف بصفات الكمال ﷻ، ولهذا قال ﷻ ﴿..وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾غافر.

الحاصل أن الله ﷻ حرم الظلم على نفسه، وهذا جاء في آيات كثيرة ﴿...وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾فصلت، ﴿مَا..وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ق، ﴿..وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾غافر، ﴿..وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾﴾آل عمران، ﴿..وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾الكهف، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾النساء، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾الأنبياء، ﴿..لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ..﴿١٧﴾﴾غافر.

[كمال عدل الله تعالى]

فلا يظلم الله ﷻ أحدا، وحرم الظلم على نفسه، (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي) وهذا يقتضي إثبات كمال الضد، فما دام هو ﷻ لا يظلم أبدا، إذن ثبت في حقه كمال ضد الظلم وهو العدل، والله ﷻ من صفاته أنه يعدل، وأنه خلق السماوات والأرض بالعدل، وخلق الخليقة بالعدل، وأقام السماوات والأرض بالعدل، ويأمر بالعدل، وما يشرعه هو العدل ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾النحل، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ

وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ..﴿٢٥﴾ الحديد، وقال ﷻ ﴿..وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴿٩﴾ الحجرات، ﴿..وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴿١٥٢﴾ الأنعام.

فقوله تبارك وتعالى في هذا الحديث (إني حرمت الظلم على نفسي) هذا فيه إثبات كمال ضد الظلم وهو العدل، فمن صفاته وأفعاله أنه يعدل ﷻ.

[خطورة الظلم]

(وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا) فهذا دليل على تحريم الظلم، الظلم حرام، (فلا تظالموا) لم يقل: فلا تظلموا، (تظالموا) من المبالغة في النهي، لا يجوز أن تتظالموا فيما بينكم، والظلم كما قال النبي ﷺ (الظلم ظلمات يوم القيامة)[1]، ومن ظلم شيئا فإنه يستحل منه يوم القيامة، ولهذا قال ﷺ (من كان لأخيه مظلمة فليستحلها الآن منه، قبل أن يكون لا دينار ولا درهم، إنما هي الحسنات، فإن فنيت الحسنات أخذ من سيئاته فطُرح)[2]، وحديث المفلس معلوم مشهور (يأتي الرجل يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وصدقة، يأتي وقد ظلم هذا، وأكل مال هذا، وشتم هذا، وسفك دم هذا، واغتاب هذا، فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه وطرح في النار)[3].

[ظلم الإنسان لنفسه]

والظلم حرام مع كلّ شيء، لا يجوز أن تظلم أحدا، وهو على قسمين: ظلم النفس، وظلمك لغيرك.

١= أما ظلم النفس فهو على صنفين:

أ= <u>أعظم الظلم وهو الشرك</u> كما في وصية لقمان لابنه قال ﷻ ﴿..يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴿١٣﴾ لقمان، ولهذا لما نزل قوله ﷻ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴿٨٢﴾ الأنعام، قال الصحابة الكرام للنبي ﷺ (يا رسول الله وأينا لم يظلم نفسه؟) كلنا نقع في

---

[1] رواه البخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٢٥٧٩).
[2] أخرجه البخاري (٢٤٤٩) بنحوه، والترمذي (٢٤١٩)، وأحمد (٩٦١٣).
[3] أخرجه مسلم (٢٥٨١).

الظلم، فقال ليس ذلك، أما سمعتم قول العبد الصالح وهو يعظ ابنه ﴿..يَـٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾لقمان، ففسر الظلم هنا بالشرك، وقال ﷻ ﴿..وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾البقرة، وقال ﷻ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾البقرة، وقال ﷻ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَـٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾الصف، وقال ﷻ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾الأنعام، وفي الآية الأخرى ﴿..إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾يونس. فأعظم الظلم الشرك بالله ﷻ، والشرك صرف العبادة لغير الله، ومن صرفها لغير الله فقد وضعها في غير موضعها.

ب= <u>وظلم النفس الثاني وهو الوقوع في المعصية</u>، فكل من عصى الله فقد ظلم نفسه، وتختلف هذه المعاصي تفاوتا، فمنها الكبائر -بل أكبر الكبائر- ومنها الصغائر.

٢= وأما القسم الثاني من الظلم فهو ظلمك لغيرك من الناس، ظلمك لوالديك، لزوجك، لأهلك، لأولادك، لأقاربك، لذوي رحمك، جيرانك، لزملائك، لأبنائك، لطلبتك، لمشايخك، للعلماء، للناس، أيضا ظلمك للحيوان، والجماد والاعتداء عليه، ومما جاء النهي عن ذلك، فقد نهى ﷺ أن تتخذ ذات الروح هدفا يُرمى، يجعل العصفور ويرمى، وأيضا ما كان من جماد مما يتلف عما يستفاد منه، فهذا اعتداء، ظلمك لغيرك، وهذا وضع الشيء في غير محله.

لكن أنبه هاهنا: وضع الشيء في غير محله مما له تأثير، يعني إذا كان وضع الشيء في غير محله مما لا تأثير له لا يقال هو ظلم، مثلا: عندك قلمان، تضع غطاء القلم الأخضر في القلم الأزرق والعكس، هذا وضع الشيء في غير محله، لا يسمى ظلما.

[تحريم الظلم حتى مع الكافر]

(فلا تظالموا) وهذا الظلم محرم حتى مع الكافر، فلا يجوز أن تظلم الكافر، قال تبارك وتعالى مخاطبا نبيه ﷺ والحكم لأمته أيضا ﴿..وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ..﴿٨﴾﴾المائدة، (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ) أي بغضكم لقوم (أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ)، اعدلوا هو أقرب للتقوى، فحتى لو قضى لكافر فإنه يقضي له بالعدل، ولهذا قال النبي ﷺ لمعاذ (إنك تأتي قوما أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن هم أجابوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ..)[1] إلى أن قال (وإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)، والله ﷻ يجيب دعوة المظلوم ولو كان كافرا.

فالظلم محرم (وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا) - والله أعلم-

هذا الحديث -حديث أبي ذر- كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا أفضل حديث شامي، لأن إسناده رجاله كلهم من الشام، وأبو ذر الغفاري ﵁ دخل دمشق، فيُنسب إلى الشام، وقد روى النووي هذا الحديث بسنده إلى أبي ذر برجال كلهم دمشقيون، فهو إسناد دمشقي تضمن فوائد وهي:

١= صحة الإسناد.

٢= وكونه مسلسلا بالدمشقيين.

٣= وكونه حديثا عظيما وفوائده كثيرة.

نكتفي بهذا والعلم عند الله تعالى.

[1] أخرجه البخاري (١٤٩٦).